العقل الّذي «فيه شيء»، يَغزو العالم الإسلاميّ*

لم يترك أيٌّ من الفقهاء أثراً في الفكر الدّينيّ، والسّياسيّ المتّصل بالدّين، كما ترك ابن تيميّة. ولد في العام (٦٦١ للهجرة/ ١٢٦٣ للميلاد)، أي في ذروة عصر الانحطاط والتّقهقر الذي بدأ يشهده العالم الإسلاميّ وتفكّك الإمبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة، فكان لهذا التّقهقر أثره في فكره وفتاواه.

كتب أحمد بن تيمية الحرّاني (ت: ٧٢٨ للهجرة) في العقيدة وفنّد آراء المتكلّمين وخصوصاً المعتزلة منهم، وجادل في كلّ صغيرة وكبيرة تتّصل بالإسلام، نصّاً قرآنياً وأحاديث نبويّة، حتى لقّب بشيخ الإسلام. تأثّر بمذهب ابن حنبل الذي يوصف بالتّشدّد وخصوصاً في الاجتهاد في النّصّ الدّينيّ وتأويلاته. طوّر نظريّة الجهاد لدى المسلمين وأعطاها أبعاداً دينيّة ودنيويّة، مشدّداً على مقولات من قبيل «إنّ غير المؤمن تجب عداوته»، وعلى ضرورة «إهانة غير المسلم وإهانة مُقدّساته»، وصولاً إلى تبنّي نظريّة «دار الإسلام ودار الكفر»، أي عمليّاً «دار الحرب» لكلّ مَن لا ينتمي إلى الإسلام، وهي النّظريّة «الحبيبة» على قلوب التّنظيمات الجهاديّة المنتشرة اليوم في العالَمَين العربيّ والإسلاميّ. ليس لمقولة «دار الإسلام» أو «دار الكفر» أو الحرب، أثَر في القرآن أو السّنّة النّبويّة، بل نشأت في العهد الأمويّ، وقال بها الفقيه أحمد بن حنبل.

عاصر الرحّالة المعروف ابن بطّوطة الفترة الزّمنيّة التي كان يخطب فيها ابن تيميّة ويعطي اجتهاداته. في كتابه الممتع، (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار)، يحكي الرحّالة المغربيّ ابن بطّوطة عن أهمّ مشاهداته خلال رحلاته التي استغرقت ثلاثين عاماً من التّرحال والطّواف في مختلف الأقطار والأمصار. ويهمّنا في هذا الباب أن نسرد واقعة طريفة ومعبّرة عاينها أثناء حضوره صلاة الجمعة بجامع دمشق، حيث كان إمام الصّلاة حينها شيخ الإسلام ابن تيميّة. يعترف الرحّالة المغربي أنّ ابن تيمية كان «كبير الشام» و«أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التّعظيم»، لكنّه يضيف متداركاً «إلّا أنّ في عقله شيئاً». وهي كما لا يخفى صيغة مهذّبة للقول بأنّ في عقل الرّجل خَللاً ما. لم تكن تلك الملاحظة ملاحظةَ شيخٍ من منافسي ابن تيميّة حتى نقول إنّها مجرّد غِيرة وتحامل، بل كانت ملاحظة رحّالة منقطع للتّرحال وتسجيل المشاهدات بدقّةٍ بالغة.

الواقعة التي عاينها الرحّالة ابن بطوطة باستغرابٍ لدى حضوره خطبة ابن تيميّة في يوم الجمعة، هي أنّ شيخ الإسلام بدأ يشرح للنّاس، فيقول: «إنّ الله ينزل إلى السّماء الدّنيا كنزولي هذا»، ونزل درجة من درج المنبر. وبينما هو يشرح على ذلك النّحو، انبرى إمامٌ مالكيّ حضر الصّلاة مُحتجّاً على ابن تيميّة وسوء توصيفه للذّات الإلهيّة، فقامت قيامة العامّة على ذلك الفقيه المالكيّ وضربه المصلّون بالأيدي والنّعال. وقد حدث كلّ هذا أمام استغراب «الضّيف» المغربيّ.

المرشد الروحيّ لـ «داعش»

وأمّا السّؤال: كيف تأتّى لابن بطّوطة أن يلاحظ على ابن تيميّة أنّ في عقله شيئاً؟ فلا إجابة واضحة عنه. لكن لا يخامرنا أدنى شكّ في أنّ الرحّالة المغربيّ لم يكن يتصوّر أنّ ذلك العقل الذي «فيه شيء»، هو العقل الذي سيغزو معظم العالم الإسلاميّ، وضمنه بلده المغرب.

بصرف النّظر عن ملاحظات ابن بطّوطة عن ابن تيميّة، ألهَم الرّجل التّنظيمات الدينيّة ذات الطابع السياسيّ، وشكّل الأب الرّوحيّ للحركات السلفيّة، وعلى الأخصّ منها الحركة الوهّابيّة التي أسّسها محمّد بن عبد الوهّاب في الحجاز، التي لا تزال تشكّل الأسس العقائديّة للشّريعة في المملكة العربيّة السعوديّة.

غزا فكر ابن تيميّة التنظيمات السلفيّة، فقاد بفكره تنظيم «القاعدة» وجبهة «النّصرة»، ويشكّل اليوم المرشد الروحيّ لـ «داعش»، وخصوصاً في ما يتّصل بالمجموعات غير الإسلاميّة

* النصّ مختصر عن مقال للكاتب خالد غزال، نُشر في ملحق «النّهار» اللّبنانيّة/ 20 أيلول 2014م.

وكيفيّة التعاطي معها، بفرض دخولها إلى الإسلام، وإلّا واجهت مصيراً يبدأ بفرض الجزية عليها أو تهجيرها من أرضها، وصولاً إلى إرسالها إلى القبور.

يكتسب الحديث عن ابن تيميّة أهمّيته الاستثنائيّة من كون الرجل يقيم بقوّةٍ بين ظهرانينا اليوم، على رغم مضيّ ثمانية قرون على وفاته بالجسد. فهو يقود المنظومة الفكريّة للتيّارات السلفيّة التي شهدت صعودها منذ أكثر من أربعة عقود، وتعيش ذروة هذا الصّعود بعد الانتفاضات العربيّة، وانهيار بُنى الدولة والمواقع التي تسجّلها التيارات السلفيّة على الأرض في أكثر من بلدٍ عربيّ، وتفرض بموجبها قوانينها وشريعتها على المسلمين وغير المسلمين، مستلهمةً بذلك فقه ابن تيميّة الحاضر أبداً في نظرها.

لا شكّ في أنّ ابن تيميّة كان ابن عصره المليء بالفوضى والحروب ضدّ المسلمين بعد انهيار الإمبراطوريّة ودخول العرب والمسلمين في مرحلة الانحطاط، كما أنّه عاش في ذروة الصراعات اللّاهوتيّة في الإسلام، ما جعله ينحاز إلى المدارس المُتشدّدة الرّافضة التأويل العقلاني للنصّ الدينيّ وللشريعة على السواء، ما جعل فتاويه أكثر تشدّداً من المدرسة الحنبليّة التي كان ينتسب إليها.

ابن تيمية يقود التكفيرية المعاصرة

لقد فضحت الانتفاضات العربيّة هذا التجمّد عند مقولات فقهيّة تآكلت مع الزمن، لكنّها لا تزال حيّة في كُتب التعليم والإرشاد التابعة للمؤسّسات الدينيّة، بل ويجري فرضها بالقوّة في بعض الأماكن. إنّ هول ممارسات التنظيمات المتطرّفة التي أمكنها فرض سيطرتها، بما يرافقها من عنفٍ وقتلٍ وتدميرٍ باسم الدّين الإسلاميّ، قد دفع، بصعوبة، بعض القيّمين على المؤسّسات الدينيّة لإطلاق تصريحات منددّة بالتصرفات الجارية، نافيةً عنها انتسابها إلى الدّين الإسلاميّ، لكن من دون أن تشير الى أنّ هذا العنف يجد مرجعه في الفكر والفقه اللّذين يجري تعليمهما وإنتاجهما في البلدان العربيّة على العموم.

تحت ضغط المؤسّسة السياسية، صدرت تصريحات من مسؤولين في المؤسّسة الدينيّة في المملكة العربيّة السعوديّة تناولت ممارسات «داعش». فقد صرّح مفتي السّعودية، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: «داعش فئة ظالمة معتدية، ويجب على المسلمين قتالها إذا قاتلت المسلمين»، وهو تصريح يشي صراحةً بحقّ هذا التنظيم في قتال غير المسلمين، فيما لا يشير الشيخ الجليل إلى أصل المشكلة في صعود هذا التنظيم ومسؤوليّة المنظومة العقائديّة السائدة في بلده.

فعلى سبيل المثال، إنّ جامعة «الإمام محمّد بن سعود» التي هي أكبر الجامعات الإسلاميّة في العالم، تضمّ أكثر من عشرين ألف طالب يدرسون فيها الشّريعة، وتحمل بعض رسائل الدكتوراه التي ينتجها طلّابها عناوين من قبيل: «النصيحة الإيمانيّة في فضيحة الملّة النصرانيّة»، «أوجه الشّبه بين اليهود والرافضة في العقيدة»، «اليمانيّات المسلولة على الرافضة المخذولة»، وغيرها من العناوين المتشابهة. فهل من عجب أن تخرج من جبّة هذه المؤسّسات الفكرية تلك النماذج من المجاهدين؟

يعترف الرحّالة المغربي أنّ ابن تيمية كان «كبير الشام» و«أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التّعظيم»، لكنّه يضيف متداركاً «إلّا أنّ في عقله شيئاً». وهي كما لا يخفى صيغة مهذّبة للقول بأنّ في عقل الرّجل خَللاً ما.

منازل الاهتداء
التّعرُّف بما هو أمرٌ إلهيّ في القرآن الكريم

محمود إبراهيم *

الإنسان بطبعه كائن مفكّر، ولأنّه كذلك فهو مُتعرّف يسعى إلى المعرفة بالتّفكُّر الزائد.
وقد لحظ النّصّ الإلهيّ خاصيّة التّفكُّر لدى الإنسان، ولذلك خاطبه الله تعالى بالعقل، ودعاه إلى تعقّل نفسه وسائر الخلق من حوله، وصولاً إلى معرفته سبحانه. ولو أطللنا على القرآن الكريم لوجدناه يدعو إلى التّفكّر ويأمر به.
في هذه المقالة سنعرض الأصل القرآنيّ للهداية، وكيف تعامل الفكر الإسلاميّ مع مراتبها المختلفة.

يذكر العلّامة الفيلسوف الطّباطبائيّ صاحب (تفسير الميزان): «إنّك لو تتبّعت الكتاب الإلهيّ ثمّ تدبّرت في آياته، وجدت ما لعلّه يزيد على ثلاثمائة آية تتضمّن دعوة النّاس إلى التّفكُّر، أو التّذكُّر، أو التّعقُّل». (تفسير الميزان: ج ٥، ص ٢٥٥)

وهذه كلّها مساع ومجهودات تؤول إلى التّعرّف على ما هو غير معروف، سواء ما في نفس الإنسان نفسه أو ما حوله من وجود: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ..﴾ فصلت:٥٣.

ولمّا كان الإنسان متعرّفاً بالفطرة، فمن أجل ذلك، سوف يظهر ما تعرّف إليه بإنتاج الأفكار والمعارف. فقد ألهمه الله قدرة النّطق بتقاطيع الحروف فكان له أن أبدع اللّغة، لتعبّر عمّا في عقله وليُفهم الآخرين أفكاره وليَفهم أفكارهم. وعلى هذا كان لا بدّ من نظام للنطق فكان علم النحو، مثلما كان نظام العقل هو علم المنطق. ولقوّة العلاقة بينهما قيل: «إنّ النّحو منطقٌ لغويّ، وإنّ المنطق نحوٌ عقليّ». (التوحيدي، المقابسات: ص ١٦٩)

وإذا كان التعرُّف استهداءً إلى أمرٍ مجهول، فالهداية ليست مقصورة على الفطرة والعقل المجرّد، فإنّهما بمثابة الأرض الأولى التي تولد منها المعارف. ولذلك راح الحكماء يسمّونها بالهداية الأولى، أو الهداية التكوينيّة.

والهداية لغة، هي عبارة عن الإرشاد والتعريف إلى السّبيل القويم بدافع اللّطف. ولفظ الهدى والهداية في الأصل ذات معنى واحد، لكنّ كلمة الهدى في القرآن تستعمل لإفادة معنى الهداية الإلهيّة: ﴿..إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ..﴾ الأنعام:٧١. ومن الممكن أن تطلق الهداية على سير الخلق وصيرورتهم باتّجاه الكمال المأمول لدى الخالق المتعال. ولها ستّ مراتب قرآنيّة:

١) **الهداية التكوينيّة:** والمقصود منها تلك الغرائز والطّباع المودعة في الطّبيعة وسائر المخلوقات، والآيات الآتية تشير إلى هذا القسم:
- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه:٥٠.
- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النّحل:٦٨.

٢) **الهداية الفكريّة:** وتُطلق على الهداية المُتأتّية من الزّرع الإلهيّ المُسمّى بالفطرة. وهي المخصوصة بالمخلوقات المُكلّفة. أي بالنّفس البشريّة. وقد أُشير إليها في الآية الآتية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الشّمس:٧-٨.

٣) **الهداية العقليّة:** وتتحقّق بسلوك طريق التعرُّف الدائم بوساطة العقل السليم، وهو ما تشير إليه الآية التّالية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الحج:٤٦.

٤) **هداية الوحي:** وتحدث نتيجة الأخذ الصّادق بإرشادات الأنبياء المُنزلة، وقد صُرّح بذلك في الآيات الآتية:
- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ..﴾ الأنبياء:٧٣.
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ..﴾ السجدة:٢٤.
- ﴿..وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى:٥٢.
- ﴿..وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد:٧.

* باحث في الفكر الإسلامي

٥) **الهداية الإفاضيّة**: ومرادنا منها هو الهداية المضاعفة والمكمّلة التي يحظى بها المهتدي بعد قبول مراتب الهداية السابقة، ولا سيّما الهداية الوحيانيّة؛ والآيات الآتية تُشير إلى هذا القسم:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ..﴾ محمّد:١٧.
- ﴿..وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ..﴾ التّغابن:١١.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ..﴾ يونس:٩.
- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا..﴾ العنكبوت:٦٩.
- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ ..﴾ مريم:٧٦.
- ﴿..فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾ البقرة:٢١٣.
- ﴿..وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة:٢٥٨.
- ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي..﴾ القصص:٥٦.
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ النّحل:١٠٧.

٦) **الهداية الإشراقيّة**: وهي مُتّصلة بما يحصّلُه المهتدي من هدايات خاصّة عبر الإلهامات والإشراقات الباطنيّة، كما في الآيتين التاليتين من سورتي القصص وطه:

- ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ..﴾ القصص:٧.
- ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ طه:٣٨.

ملاحظات وتنبيهات

١) الهدايات الستّ، باستثناء القسم الأول (التكوينيّ) والسّادس (الإشراقيّ) يترتّب بعضها على بعض بنحوٍ طوليّ، لأنّه ما لم يحصل القسم الثاني وما لم يلتزم به المُكلّف، فلن تتحقّق بقيّة الأقسام، والحال نفسها مع القسم الثالث بالنسبة إلى القسمين الرّابع والخامس، وهكذا القسم الرابع بالنسبة إلى القسم الخامس.

الهداية الإفاضيّة إنّما تحصل تحت سلطان المشيئة الإلهيّة. حيث تُسلب إمكانيّة الهداية في القرآن عن كلّ أحدٍ سوى الله:

- ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران:٨٦.
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ المنافقون:٣.

٢) من الممكن تقسيم الهداية (المرتبطة بالإنسان) إلى قسمين: «اللّاواعية غير الإراديّة»، التي تُطلق على الكمالين الأوّل والثاني (القسم الأوّل والخامس والسّادس)، و«الواعية الإراديّة» (القسم الثاني والثالث والرابع). ومُتعلّقُ الهداية غير الإراديّة هو فعل الخالق، وبناء عليه فهو «الإيصال إلى المطلوب»، ولا يتخلّف:

- ﴿..أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ..﴾ الأعراف:٥٤.
- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ الشعراء:٧٨.

للهداية في القرآن

الكريم ستّ مراتب،

منها «غير الإرادية»

المرتبطة بفعل الخالق،

و«الإرادية» المشروطة

بفعل الخلق.

ومُتعلّق الهداية الإراديّة هو فعل الخلق، ويتأثّر بحسن اختيار الإنسان وسوئه، ولو عبر وسائط. وبناء عليه، فهذا القسم يعدُّ مجرَّد إظهار للطريق، وإمكانيّة تخطّيه والتخلّف عنه موجودة:

- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان:٣.
- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد:١٠.

٣) من الممكن تقسيم الهداية المُرتبطة بالإنسان، وفق حيثيّة أخرى، إلى الهداية الابتدائيّة والهداية الاهتدائيّة. بعض المراتب بالنسبة إلى المرتبة التي تسبقها هي اهتدائيّة، أي أنّها نتيجة لقبول الهداية في المرتبة السابقة:

- ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى..﴾ مريم:٧٦.
- ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى..﴾ محمّد:١٧.
- ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمّد:١٧.

٤) بما أنّ الهداية هي الصّيرورة، فهي تعد استمرار الخلق (والخلق المستمرّ)، لهذا فكلّ شيء محتاج في خلقه إلى الغير، يكون في الهداية والصّيرورة محتاجاً أيضاً؛ ومن هذا المنطلق، جميع أنواع الهداية يجب أن تنتهي إلى الهادي بالذات، وإلّا سوف تكون ضلالات: ﴿..إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى..﴾ البقرة:١٢٠.

ولهذا، أيضاً، بالإمكان تقسيم الهداية (والهادي) إلى قسمين:

أ) «بالذات» و«من دون وساطة».

ب) «بالتّبع» و«بوساطة».

- ﴿..وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى:٥٢.

٥) يتكفّل القرآن الكريم بالهداية الوحيانيّة لأنّها مُستند نُبوّة الرّسول الأكرم، صلّى الله عليه وآله، الذي تمثّل هداية البشريّة غاية رسالته:

- ﴿الم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:١-٢.
- ﴿..هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف:٢٠٣.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس:٥٧.
- ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل:٦٤.
- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل:٨٩.
- ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الجاثية:٢.

وباستطاعة القرآن الكريم أن يكون وساطة للهداية الإفاضيّة لدى أفراد معيّنين من الذين يتمتّعون برتبة وجوديّة متعالية.

الهداية هي الصّيرورة، وهي استمرار الخَلق، فما كان محتاجاً في خلقه إلى الغير، كان فيها أحوج، وما لم تنتهِ جميع أنواع الهدايات إلى الهادي بالذات، فسوف تكون ضلالات.